الفصل الأول

المصطلحات الحضارية والثقافية والمعتقدات الدينية للعرب ما قبل الإسلام

أولاً: مصطلحات الحضارة والمَدنِيَّة والثقافة

أطلق العرب على مصطلح الحضارة والتي تعني (التمدن) أو (التمدين) وهي خلاف البادية[1]، ويعني مستوطنو المدن، وهذا المصطلح يطابق المفردة اللاتينية (Civis) أي التمدن ومنها عرفت كلمات في أوربا تدل على الجانب الحضاري، مثال ذلك المفردة الفرنسية (Civisation)، والمفردة الإنكليزية (Civilization) بينما الالمانية (Zivlisation)[2]، والتي يكون مصطلح الحضارة مغاير لذلك ويعني التحرك والترحال[3].

ماذا تعني الحضارة؟:

قارن العرب منذ أمد بعيد بين الحضارة وبين البداوة، وهي تناظر بين الاستقرار والتنقل فوصف الحضر بأنهم سكان مدن وانهم أهل مدر أو أهل حجر، لأن معيشتهم في بيوت من اللِبن أو الحجر، على النقيض من أهل الوبر، الذي يعيشون في دورٍمن وبر ألجمال أو شعر الماعز أو صوف الخراف[4]، وهذا

---

(1) ابن خلدون، المقدمة، 99؛ الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مادتي (حضر - مَدَنَ).

(2) ماجد، تاريخ الحضارة الإسلامية، 10.

(3) اليوزبكي، دراسات في النظم العربية، 17.

(4) ابن منظور، لسان العرب، مادة (حضر).

يعطي معنى الحضارة طابع خلاف لغوي بين البدو والحضر[5].

واعتبر ابن خلدون[6] (ت808هـ/ 1406م) الاختلاف بين التحضر والبداوة هو التجمع الإنساني ودافع العمران، فقال: "أنه خبر عن الاجتماع الإنساني الذي هو عمران العالم، وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الأحوال مثل التوحش والتأنس والعصبيات وأصناف التغلبات للبشر بعضهم على بعض، وما ينشأ عن ذلك من الملك والدول ومراتبها، وما ينتحله البشر بأعمالهم ومساعيهم من الكسب والمعاش والعلوم والصنائع وسائر ما يحدث من ذلك العمران بطبيعته من الأحوال"، وذكر كذلك ان وجود العمران يعني ولادة الحضارة، بقوله: "والحضارة تتفاوت بتفاوت العمران، فمتى كان العمران أكثر كانت الحضارة أكمل"[7].

تعريف الحضارة:

توجد عدة تعاريف للحضارة، فكل الذين عرفوها خضعت لوجهة نظرهم، نحو الأمور المادية، أو النهضة العلمية، أو من التحليل لمجريات الأحداث التاريخية وتوجد تعاريف للحضارة... فعرفها اشفيتسر[8]: "إن الحضارة هي التقدم الروحي والمادي للأفراد والجماهير على السواء"، بينما يراها ضناوي[9]: "مقياس لمستوى الإدراك، وعنوان على معطيات الأمم والشعوب، ومن خلاله يمكننا تفسير كثير من أحداث التاريخ ومضامين الثقافة والإبداع... تأويلات الحضارة تلك التي تجعلها مرادفة لمصطلح المدنية، فالحضارة مدنية، والمدنية حضارة. وكل الأقوام وبخاصة اولئك المتخلفين عن

---

(5) اليوزبكي، دراسات في النظم العربية، 17.

(6) المقدمة، 31.

(7) م. ن، 301.

(8) فلسفة الحضارة، 34.

(9) مقدمات في فهم الحضارة الإسلامية، 10- 11.

أنماط الحياة المدنية من بدو أو قبائل الأدغال هم غير متحضرين، وان تكن عندهم مستويات من فكر وسلوك. إلا أن هذا الرأي الذي كان يحتل حيزاً كبيراً من مفاهيم لفيف من الباحثين ثبت بطلانه وتناقضه، فالحضارة تكون في كل مجتمع، ولو كان موغلاً في البدائية المدنية. ذلك ان تجمع الناس والتفاعل ضمن نمط الحياة معين - وهما بحد ذاتهما - حضارة... غير انها تختلف عن مثيلاتها في المستوى... ليس إلا..."، فلم يخلوا البدو من مظاهر الحضارة، فكانت لهم نظمهم الدينية والسياسية والاجتماعية قبل ظهور الإسلام، فضلا عن القيم والتقاليد المتمسكة بالأخلاق السامية، فهم يملكون ملكة الشعر ويحبذون القصص والأحكام فعندهم خصوبة الخيال التي تدل على الإمكانيات العقلية، فلهم باعهم الطويل في علوم النجوم والرياح والأمطار استنبطوها من دقة ملاحظاتهم واستقرائهم للأمور[10]، وعرفها فروخ[11]: "هي العادة التي يسير عليه الناس في حياتهم العامة والخاصة في قطر من الأقطار في زمن من الأزمان. وتكون الحضارة أنواعاً وطبقات: هنالك حضارة بدوية وحضارة مدنية... حضارة زراعية وحضارة صناعية وحضارة بحرية ساحلية وحضارة سهلية داخلية أو جبلية "، إذاً الحضارة تختلف في أثرها وفق طبيعة سكان منطقة ما، وأثر البيئة التي كانوا يعيشون فيها ومقدار احتكاكهم بالشعوب التي تجاورهم وما يحتضون لديهم من مقومات التطور والنزعة للخروج من قالب الماضي الذي شعروا بضرورة تجاوزه نحو أفق أرحب من الرقي والتطور.

مُسمَّيات الحَضارة:

هناك ملازمة لمفردة الحضارة مع مسميات مثل (العربية) أو (الإسلامية) وقد يرتبط الاثنان معاً فيكونا مفهوم (العربية الإسلامية) كتعبير عن الحضارة،

---

(10) اليوزبكي، دراسات في النظم العربية، 19.

(11) فرُوخ، العرب في حضارتهم وثقافتهم، 66.

التربية الاساسية
مكتبة احمد

ويمكن القول ان مفهوم (الحضارة العربية)، يشير الى الدور الريادي للعرب في إدارة دفة الإسلام والمسلمين، وان لغة العربية في القرآن لها أثرها البالغ على الثقافة العربية نجحت في جمع المسلمين العرب مع أهل الذمة[12] في النطق بالعربية والاهتمام العميق بنحوها وبلاغتها، الأمر الذي شجع على نشر العربية متخطية المحيط العربي فكان كل من دخل الإسلام من خارج المحيط يهتم بالعربية حتى شكلت خطراً على لغتهم الأم، كادت ان تكون اللغة العربية اللغة العالمية الأولى فكان هذا النجاح الذي حققته اللغة لا يقل شأناً عن أثر الفتوحات الإسلامية التي نجحت في نشر الدين الإسلامي وانجزت نصرا عسكرياً وسياسياً[13].

ان تبلور الحضارة عن الإسلام بمعزل عن العروبة، يعني اختزال الرسالة الإسلامية ويبعدها عن التراث الحضاري العربي الذي ينسجم مع العقيدة الإسلامية ويبرز دور المسلمين الغير العرب في بناء الحضارة، والابتعاد عن التغاضي عن أثر الرسالة الإسلامية وتبلور طابع إسلامي خاص يجمع المسلمين بكافة قومياتهم والتي اتخذت الإسلام ديناً جديداً لها[14].

عند دراسة الحضارة كمعتقد ودليل عمل في حياتنا يمكن تسميتها بـ(الحضارة الإسلامية)، ولكن إذا أخذنا دراسة الحضارة في حقبة تاريخية فلا مبرر فيه ان نربط حياة المسلمين التي عاشوها في مناخ بيئي مختلف كنهج نموذجي للحياة فكلا المجالين يجعلان فهمنا للحضارة فهماً منقوصاً مختزلاً غير متكامل، واخذ مفهوم (العربية الإسلامية) مع الطابع الحضاري توصلنا إلى

---

(12) أهل الذمة: هم أهل الديانات السماوية من غير المسلمين والتي تقيم في كنف المسلمين، ينظر: ريسلر، الحضارة العربية، 85.

(13) عيسى، نحو مفهوم للحضارة الإسلامية، 11؛ اليوزبكي، دراسات في النظم العربية، 19-20.

(14) عيسى، نحو مفهوم للحضارة الإسلامية، 12- 14؛ اليوزبكي، دراسات في النظم العربية، 20.

مكتبة احمد
التربية الاساسية
قرب الباب الامامي

قرب الباب الأمامي
التربية الاساسية
مكتبة احمد

مفهوم أوسع، لأن هذا المفهوم يعني مشاركة المسلمين بمختلف قومياتهم، والمتحدثين بالعربية ولكنهم غير عرب، في تشييد الحضارة العربية الإسلامية[15].

فأسس الحضارة تعود الى تراثنا العربي، وما أتى به ديننا الحنيف من قيم ونظم وأحكام شرعية، وما تأثروا به من الحضارات التي وجدوها في البلاد المحررة[16].

العلاقة بين الحضارة والثقافة:

تأتي كلمة (ثَقُف) بمعنى "الرجل من باب صار حاذقا خفيفا"[17]، والثَّقافَةُ هي: "العلوم والمعارف والفنون التي يطلب العلم بها، والحذق فيها"[18]، وأشار القرآن الكريم الى هذه الكلمة بقوله: ﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۚ﴾[19]، وترجع مفردة (Culture) إلى اللفظ اللاتيني والذي (يعني حرث الأرض وزراعتها)[20]، ومفهوم Acculturation (التثاقف) أو (المثاقفة) يعني: تأثر الثقافات المختلفة بعضها بالبعض الآخر على طريقة الاتصال بينها بغض النظر عن سبل هذا الاتصال، ومدته الزمنية[21].

لا تقتصر الحضارة على الجانب المادي فقط، بل تعدت هذا المفهوم ليشمل الجانب الروحي الفكري التشريعي كذلك، ولتكون لنا نظرة شاملة

---

(15) عيسى، نحو مفهوم للحضارة الإسلامية، 15؛ اليوزبكي، دراسات في النظم العربية، 20.

(16) اليوزبكي، دراسات في النظم العربية، 20.

(17) الرازي، مختار الصحاح، مادة (ثَقُف).

(18) المعجم الوجيز، مادة (الثَّقافَةُ).

(19) سورة البقرة، الآية 2.

(20) عارف، الحضارة - الثقافة - المدنية، 19.

قرب البا
التربية الاساسية
مكتبة احمد
امامي